

## أيتها المرأة اللبنانية... قومي

الحفلة صاخبة. وها هي تجلس مع رفيقاتها ورفاقها حول طاولة الاستقبال والفرحة تملأها وهي بكامل اناعتها متبرجة بالحلى البراقة حول عنقها الممشوق ورسغها الرفيع ويدها مرفوعة في الهواء حاملة بين اناملها سيجارتها المشتعلة لتضيف عليها شعورا بالغبطة والثقة بالنفس. كانت هذه سيجارتها السابعة لهذه السهرة الممتعة. ما لم تشعر به زميلاتنا هو السعال المتقطع التي احكمت السيطرة عليه كي لا تفسد امسيتها السعيدة وكي لا تبوح لهن بمراجعتها صباح اليوم التالي مع طبيبها لهذا العارض المزعج الذي لم يفلح علاج الصيدلي في القضاء عليه لاسباب طويلة. الغد اتى والصورة الشعاعية اظهرت التورم اللعين في الرئة اليمنى والخزعة النسيجية جزمت الشك المرعب لسرطان الرئة. هكذا انقلبت المتعة نقمة والعافية آفة واختفت فورا البسمة عن الفم الذي احكمت شفثيه على آلاف من السجائر "الناعمة" عبر السنين العديدة. استعرضت ماضيها بسرعة فأسفت والحزن يغلف عميق شعورها باللحظة اللعينة التي اصرت عليها رفيقات الصبا بمشاركة في نشوة التدخين واللاحق بالركب الحضاري والذي يظهر مثيلاتها على شاشات التلفاز والسينما والملصقات الكبيرة وهن ينعمن بعنوان الصبا واعجاب الشباب والاستقلالية للفتيات العصريات واصابع اياديهن تداعب السيجارة التي صنعت خصيصا لثبات خطواتهن ولمضاعفة سرورهن في هذه اللحظات السعيدة.

بعد الحرب العالمية الثانية ومع ازدياد انخراط العنصر النسائي في حقول العمل في المجتمع بجميع نواحيه، اصبحت المرأة فريسة مستهدفة من شركات التبغ مستغلة اندفاعها للعمل ولاستقلاليتها وقامت بتصنيع انواع من السجائر خصيصا للنساء. وادراكا منها بالدراسات التي تظهر فعالية العوامل المحيطة بالفرد وتأثيرها على تصرفاته، اطلقت حملات اعلانية لتظهرها بموقعها الجديد في المجتمع وعلى ان السيجارة ممتعة لمظهرها واناقتها ورشاقتها وجاذبيتها. بالنتيجة وقعت فريسة للشباك التي اصطادت في السابق شريكها الآخر في المجتمع اي الرجل. واستمرت الحملة المستعرة وجاء وهم السيجارة القليلة القطران لتفتك بها وتتغلغل عميقا في رثتها. ان هذه السيجارة الموضوعية في علب مزينة وملونة والتي تتماشى مع ازياها هي قمة التآلق الاجتماعي وما عليها سوى اختيارها لتكون رفيقتها تحملها معها حينما كانت.

وامتدت الحملة المركزة على مدخنات النرجيلة ايضا. فالتبناك العجمي او "البلدي" الذي دخنته الجدة والوالدة اضحى اليوم معسلا؟! وهو اقل خشونة على البلعوم والفم، وبذلك يمكن الفتاة الشابة ان تستمتع بساعات طويلة من التدخين ومعه الانبعاثات الكثيفة التي تملأ فمها وانفها وتلتف حول وجهها وشعرها وتسهل الوصول المؤكد لعديد من السموم الى احشاء جسدها ولاجساد من حولها. وكان ذلك لا يكفي، فأنت متواصلة انواع التبناك التي تحمل نكهة العديد من انواع الفاكهة وكان الاخيرة وهبها الله للبشرية لتكون متعة للتدخين

وليست وسيلة طعام.

ولذلك انه من غير المستغرب ان نرى لبنان متصدرا دول المنطقة وبنسبة عالية جدا لعدد المدخنين والمدخنات بين المراهقين والمراهقات. سمعت تشكيكا في بعض هذه الارقام العالية ولكن لا اود ان ادخل في حوار حول خلاف رقمي؛ اذ لا تأخذ اي عاقل سوى ان يتجول في مقاهي بيروت وعلى كورنيش العاصمة والى المطاعم في انحاء لبنان وان يزور التجمعات الشبابية بكل اطيافها ليرى بأمر عينه المآسي الاجتماعية، وتاليا الصحية، التي تعصف بنا.

وما هي الا عقود قصيرة حتى بدأت المرأة تلحق بالرجل وتبرهن للمجتمع الطبي ان جسدها البيولوجي معرض للآفة نفسها من الامراض ولتجزم مجددا العلاقة الوثيقة بين التدخين بجميع اصنافه، والعديد من الآفات الصحية. وازافت الى ذلك التأثير الكبير على اجمل ما خصها به الله وهو الجنين في رحمها. وجاءت الدراسات العلمية العديدة لتربط بين التدخين و العاهات الخلقية عند حديثي الولادة والعديد من الامراض الصحية عندهم. والدراسات الطبية تظهر حقائق مخيفة ومن حق المرأة المستهدفة ان تعرفها. ان خطر سرطان الرئة عند المرأة هو ضعف الخطر عند الرجل اذا قورنت بكمية متساوية من التبغ المدخن. والاضرار من ذلك ان الخطر عند المرأة من سرطان الرئة بسبب الدخان السلبي هو ضعف الرجل. في الامس القريب، كانت نسبة سرطان الرئة بالنسبة الى الرجل ضئيلة جدا في لبنان ولا تتعدى اصابع اليد الواحدة. اما اليوم فان عددهن يشكل ما لا يقل عن 25 في المئة من مجموع الاشخاص الذين يشخصون بهذا المرض القاتل. الاخطر والادهي ان هذه النسبة في ازدياد مضطرد وارتفاع حاد مع تزايد التدخين من العنصر النسائي.

من هنا اين المسار؟ يا سيدتي، يا فتاتي، يا مراهقتي، ساندننا وارفعن صوت رفضكن عاليا ضد الحال لأن صحتكن غالية جدا على اي مجتمع بشري. العالم كله مدرك المصيبة التي حلت والخطر المحدق بكن وعليكن دحضه بارادة قوية حديدية. انضمن الينا جميعا ايها السيدات والامهات في دعوة البرلمان اللبناني للتصويت على قانون يحد من التدخين من طريق منع الاعلانات على الوسائل المرئية وغير المرئية ومنها شبكات الانترنت، منع بيع منتجات التبغ للقاصرين والقاصرات، ومنع التدخين في الاماكن العامة حفاظا على جيل الغد، والزام شركات التبغ وضع التحذيرات الفوتوغرافية على علب التبغ كافة. يا سيدتي، يا فتاتي، يا بنييتي، نعم لرشاقتك، نعم لاستقلالك، نعم لصوت دافئ ناعم، ولا لصوت خشن فظ ولا لجسم عليل ومولود نحيل ولا لدخان ثقيل يلف حول عنق جميل ليخنقه تدريجيا وهو في ريعان العمر.

الدكتور غازي الزغرتي

(رئيس دائرة الباثولوجيا والطب المخبري - الجامعة الاميركية في بيروت و رئيس المجموعة العلمية لتنظيم المنتجات التبغية في منظمة الصحة العالمية )